فضل العربية على الحضارات القديمة

بقلم: عبد الحق فاضل

محاضرة ألقاها الشاعر والكاتب العراقي الاستاذ عبد الحق فاضل في قاعة الحفلات البلدية بالدار البيضاء في 25 يناير 1965 استجابة لطلب اللجنة الثقافية لعمالة واقليم الدار البيضاء التابعة للمكتب الدائم لتنسيق التعريب ، ثم تفضل باعادة القائها في كلية الآداب بالرباط في 24 . 2 . 1965 تلبية لدعوة اللجنة الثقافية لمدينة الرباط التابعة للمكتب الدائم لتنسيق التعريب ودعوة اتحاد كتاب المغرب العربي .

وقد ارتأينا نشرها كما ألقيت من دون حذف ولا تلخيص نظرا للاثر القوي الذي تركته في نفوس المستمعين ورددت أصداءه الصحف العربية والفرنسية الصادرة بالمغرب .

اللسان العربي

أيها الاخوان والاخوات :

السلام عليكم ..

ان بلدكم هذا لقيني عند حلولي فيه ببعض المفاجئات، فقد كان الذي شاقني اليكم فقصدتكم من أقاصي الارض ما كنت أسمع من أن بلدكم جميل ، وان أهله طيبون ، وأن فيه مسحة عربية ما زالت باقية من عز الحضارة الاندلسية ، وأن فيه حركة ثقافية وعلماء أفذاذا . ولكني عندما نزلت ديياركم فوجئت بأن وجدت البلد أجمل كثيرا مما كان يخيل لي ، وأن فيه من الاكارم الافاضل ما قدتنسل العرب، وان المغاربة لم يحتفظوا بسيماء الحضارة الاندلسية فقط بل احتفظوا كذلك في لغتهم وأزيائهم وعاداتهم بما هو من صميم العروبة العاربة ، مما ضيعه الكثيرون من اخوانهم في مشارق العالم العربي على قربهم من الوطن العربي الاول .. ووجدت أن علماءه الاحياء أكبر عددا أو أعلى درجة مما يعرف عنهم عرب الشرق الاوسط . هذا عدا الاسماء العلمية اللامعة ذات الشهرة ـ لا أقول العربية ـ بل العالمية .

وكان من جملة هذه المفاجئات السارة أيضا هذا **المكتب الدائم** ـ أدامه الله وأدام بركاته ـ بشقيه المغربي والعربي ، أعني عمله في التعريب للمغرب وعمله في **تنسيق التعريبات** لجميع أقطار الاعاريب ـ ولقد أدهشتني وفرة انتاجه ولم يمض على تأسيسه سوى ثلاث سنيات ، على حين أن بعض الاقطار العربية لم يتيسر له أن يبلغ هذا المبلغ من الانتاج اللغوي كما وكيفا في عشرات السنين . وفوجئت كذلك أن وجدت أحد الدواوين الحكومية البعيدة عن ميادين اللغة والثقافة ، وهو **مكتب المراقبة والتصدير** في الدار البيضاء له مصلحة فنية للتعريب يتسع نشاطها لا لتعريب المصطلحات المصلحية اللازمة لاعمال المراقبة والتصدير

واختصاصاتها فقط وانما تعم فواضلها المغرب كله ، بل تدعم حركة التعريب ومن ثم التثقيف فى الوطن العربى أجمع . وأود أن أزيد هنا كلمة صغيرة أقولها استطرادا ، وهى أن المغرب العربى لما يعرفه جيدا بمختلف وجوهه .. وجمالاته .. أبناء المشرق العربى .

مفاجآت لغوية

أفليس من واجبى الآن ، أيها الاخوان والاخوات على تعبير المغاربة ، وايتها الاخوات والاخوان على تعبير المشارقة ـ وتقديم الاناث على الذكور سنة أخذناها عن الغرب ، وهى من باب **التعريب** أيضا ـ أفليس من واجبى لقاء هذه المفاجآت المغربية الكريمة ان ازجى اليكم أنا ابن الخليج ، يا أبناء المحيط ، بضع **مفاجئات لغوية** آمل أن تسركم ولو قليلا ، كما سرتنى مفاجئاتكم كثيرا ؟

وأول مفاجئاتى هذه ، أيها الاخوة والاخوات ، هو تصحيح عنوان محاضرتنا هذه ، فقد ورد فى بطاقة الاستدعاء أنه « **فضل اللغة العربية على الحضارات القديمة** » .... وأنا الذى ادعيت ذلك ظلما وعدوانا ، ولكنى أستمحكم المعذرة الآن معترفا أن الذى أردت اليه حقا والذى هو موضوع محاضراتنا فعلا هو « **فضل العربية على بنى آدم حتى من قبل عهد الحضارات ، وفضل الطفل العربى .. الرضيع العربى .. على لغات البشر ، بل فضل الفروج العربى .. نعم الفروج .. فرخ الدجاجة العربى .. على اللغات الحضارية الراقية .. قديما .. وحديثا** .

ولكنى خفت اذا انا صارحتكم بذلك فى بطاقة الاستدعاء ان ترتابوا ، والحق معكم ، فتظنوا بى الظنون ، وتفروا منى ومن محاضرتى فرارکم من الاسد .

أما الآن وقد تورطتم بدخول هذه القاعة فما الذى يمنعنى ايها الاخوان والاخوات من مصارحتكم بالحقيقة .. لا الحقيقة المرة .. بل الحقيقة الحلوة ؟ نعم سأحدثكم عن فضل فروج أجدادكم الاشاوس ، وسأحدثكم عن أعاجيب من أسرار الماضى البعيد .. البعيد .. مما لو جرى على لسان القصاصة العالمية الحسناء ـ شهرزاد ـ لوصفته على طريقتها العذبة بقولها انه **لو كتب بالابر .. على آماق البصر .. لكان عبرة لمن اعتبر !**

والفضل فى هذا لا يعود الى مقدرتى وحذقى ، ولكن الفضل كل الفضل للموضوعات التى سيتناولها حديثنا ، لان هذه الموضوعات شائقة مثيرة للدهشة والاستغراب بذاتها ، ولعلها ستثير طائفة كبيرة من أهل الاستغراب .. والاستشراق .

وكلمتى هذه جزء صغير فى الواقع ، او لمحات خاطفات من كتاب انتويت تأليفه بعد استيفاء البحث وارسائه على أسس علمية مكينة ، اذا تيسرت لى المصادر والامكانيات اللازمة لكل بحث وتفرغ . أما الآن والبحث على حاله هذه فلا استطيع أن أسميه بحثا بالمعنى العلمى ، وانما هو مشروع بحث .. مشروع محاضرة .

طريقة فى التنقيب

كان المقدار الذى يعرفه المؤرخون قليلا جدا عن أحقاب التاريخ القديم وحضاراته ، وعما قبل التاريخ من الحضارات . ثم بدأ **التنقيب العلمى** المنظم فاحتفرت أطلال ونبشت قبور وقصور ، واستخرجت دفائن ، واذا بأسرار الماضى البعيد تسفر عن وجهها شيئا فشيئا ، واذا بالمنقبين يكشفون بين حين وحين مصابيح وهاجة من الآثار تضىء زاوية من المجهول هنا وقبوا من المخبآت هناك .

وكان ان وجدت نفسى قبل بضع سنين منهمكا أنا أيضا فى الحفر والنبش عن حقائق الماضى ، فى بلاد العرب وفى غيرها من أقطار الارض . جعلت أنقب فى المكان والزمان ، من (نيبال) فى أحضان جبال هملايا الى (ايسلندة) فى المحيط المنجد الشمالى .. ومن فجر التاريخ ، بل من دامس ليل التاريخ ، الى يومنا هذا . أجل ، فعلت كل ذلك بمفردى ودون أن أبارح غرفتى أو أزايل مكتبى . ذلك بأن **طريقتى فى التنقيب هى نبش المعاجم اللغوية بحثا عن العلاقات البشرية** . وصرت أجد بين حين وآخر لقية أنفس من لؤلؤة .. تومىء الى شىء مجهول ، على أن افتش عنه واستجلى غوامضه .

وجدت فى تنقيباتى الكثير من الالفاظ المشتركة بين العربية واللاتينية أول الامر . وتبادر الى ذهنى أن العربية هى المقتبسة من اللاتينية بوجه عام ، وان اللاتينية لم تستفد من العربية الا كلمات قليلة مثل (**الجمل** Camelus و (**الفيل** elephas وامثالهما من الفاظ الصحراء او الشرق البعيد التى توسطت العربية فى نقلها الى ديار الغرب ، أما كلمة سرية جليلة الشأن

مثل **(القلم)** التى وجدتها فى اللاتينية بصيغة calamus فلم أتردد فى الزعم بأن العربية هى التى اقتبستها من اللاتينية .. والسبب واضح . وهو أن العربية حديثة عهد بالنسبة الى اللاتينية اولا ، وان اللاتين الرومان كانوا هم أهل الحضارة حين كان العرب أمة بداوة وبدائية ثانيا ، ثم علمت بعد ذلك أن أصل الكلمة اغريقى - kalamos - وان اللغويين كافة يرون أن العرب البداة هم الذين اقتبسوا هذه الكلمة الثقافية الشريفة وما زالوا يتوهمون ذلك حتى اليوم .

ولقد أدهشنى أن وجدت فى أثناء حفرياتى أن للغة العربية علاقات متشابكة مع لغات بنى الانسان فى التاريخ القديم ، أعنى الاغريقية واللاتينية والفارسية : ولكنى تذكرت أن لغة **الاكديين** ، أى البابليين ، كانت اللغة العربية ، عربية ذلك الزمان والمكان بطبيعة الحال ، اى قبل اكثر من (5.500) عام ، فى أرض الرافدين .. وان كلمة **(بابل)** نفسها عربية لان اصلها البابلى هو **(باب ايلو)** أى باب الاله .. ووجدت مثلا أن نظرية المثلث القائم الزاوية المنسوبة الى اقليدس قد اكتشفت فى أرض الرافدين مكتوبة بالعربية البابلية على رقيم من الطين قبل عهد اقليدس بسبعة عشر قرنا ، أى منذ أربعة آلاف سنة . وتذكرت أن شريعة حمورابى البابلى العربى أقدم من حضارات الاغريق واللاتين والفرس جميعا . (1)

هنا تغير وجه المسألة ، بل انقلب عقبا على رأس . وأخذ يبدو لى أن الاصح هو أن هؤلاء ، أعنى الاغريق واللاتين والفرس ، هم الذين اقتبسوا من أنوار اللغات : **البابلية والآشورية والحميرية والفنيقية والآرامية** .. التى حملت مشعل الحضارة بالتعاقب ، مجتمعة ومنفردة . واذا باللغة العربية ليست باللغة الحديثة ولا البدائية ، وانما هى لغة علم وثقافة منذ عهد الاكديين . وبكلمة أخرى **ان العربية أعرق لغة حية على وجه الارض ، فما من لغة غير العربية اليوم تسحب وراءها ماضيا ثقافيا وهاجا - مثل ذيل الكوكب المذنب - طوله خمسة وخمسون قرنا ، على الاقل .**

ان تحرياتى لم تكن كافية ولا منظمة لكثرة تنقلى فى الامصار ، وبعدى عن المكتبات والمراجع ، وحاجتى الى الاستقرار الذى آمل أن أجد كفايتى منه هنا . الا أن حفرياتى بالرغم من هذا كله عادت على بحصيلة كبيرة من الالفاظ العربية موزعة على الامم القديمة فى اوربا وآسيا . وأود هنا أن أنبه الى نقطة مهمة وهى أنى لا أقصد ما استفادته لغات الشرق والغرب من العربية فى عصور الازدهار الاسلامية ، فهذه الفوائد والالفاظ معروفة يعلم المعجميون الاجانب أنها من العربية ، وقد نقلها ونشرها الكثيرون من اللغويين المحدثين العرب ، وانما أنا أبحث عن الالفاظ التى اقتبستها اللغات الاجنبية من العربية قبل الاسلام ، بل قبل التاريخ ، ولا تدرى المعاجم الاجنبية أن أصلها عربى .

العطاء

ومن حقكم أن تسألونى : ما الدليل على أن اللغات الاجنبية هى المقتبسة ؟ ألا يجوز أن تكون اللغة العربية هى التى استفادت هذه الالفاظ المشتركة من هذه اللغات الاجنبية ؟

لا يتسع بنا المقام هنا لاستعراض الكثير من الالفاظ المشتركة بين اللغات وتحليل معانيها واشتقاقاتها وردها الى أصولها ، فان هذا من البحوث الجادة المملة ، مكانها الكتب والمجلات .. على حين أن المحاضرات بطبيعتها ينبغى أن تكون خفيفة سائغة . فأنا بين نارين : نار الجفاف الذى تتسم به البحوث اللغوية كبحثنا هذا من جهة ونار الطراوة والطلاوة التى تتطلبها طبيعة المحاضرات من جهة أخرى . فلنخفف اذن ولنلطف على قدر الامكان . ولنأخذ كلمة واحدة من الكلمات المشتركة وهى **(الاداء)** او **(التأدية)** من فعل **(أدى)** . وهى فى الفارسية **(داد)** أى أعطى .. وفى اللاتينية addo

---

(1) وجدوا في اطلال بلدة أشننة Ashnunnah بالعراق قانونا أقدم من شريعة حمورابي بمئتي سنة . ومن مزايا قانون اشننة هذا اولا : انه يذكر أقدم مظهر معروف للعملة وهو وزن معين باسم (شقل) من الفضة – أي الثقل – شبيه بما سماه العرب (المثقال) . ثانيا : تحديد أسعار الضرورى من السلع للحياة العامة من معاش وصناعة ونحوها .

و datio و dono ومنهـــا فى الايطالية dato ومن صورهـــا فى الفرنسية donner و donation و date وللكلمة فى كل من هذه اللغات اشتقاقات أخرى . ولهـــا فى الانكليزية ايضا بعض الصور منها الكلمتـان الفرنسيتان الاخيرتان ، أعنى date و donation

فأية واحدة من هـذه اللغـات الست هى **(المعطية)** الاولى لهذه الكلما تالدالة على **(العطا.)** ؟

النظرية الرائجة هى أن اللغات الاوربية أصلها آرى هندى ، لذلك سموها اللغـات **(الهندية ـ الاوربية)** . فاذا أخذنا بهذه النظرية الشائعة لاحت الكلمة آريـــة الاصل ، انتقلت من الشرق الى اوربا ، ولعلها مرت فى طريق انتقالها ببعض البلاد العربية فتخلفت فضلة منها للعرب . ونحن لا نريد أن ننكر المادة الآرية فى اللغات الاوربية ولا الدماء الآرية فى شرايين الاوربيين ، ولكـن حفرياتى اللغوية كشفت لى ما للعربية من دور خطـير فى هذه اللغات الاوربية ، بل ما للدم العربى من قسط كبير فى شرايين الاوربيـين وأوردتهم ، ومـــا للافكار العربية من تفاعل شديد فى رؤوسهم وفى نفوسهم .

اذا وجدنا كلمة مشتركة فى بضع لغـــات فانمـــا نستطيع أن نعرف اللغة الام منهن باحدى طريقتين فيما أظن . اما أن نعرف فى أية واحدة من هذه اللغات كانت الكلمة أقدم عهدا ، واما ان نجد فى احدى هذه اللغات **الجذر البدائى الاصيل الذى نشأت منه الكلمة . أمـا** من حيث القدم فقد وردت الكلمة فى العربية الاكـدية وهى **(ندانو)** بمعنى أعطى أيضا .

ويبدو لى أن هذا لا يكفى لاقنـــاعكم ، ولا سيما أن فيكم من أجلة العلماء من لا يقنعه الا البرهان الحاسم ، وكأنى ببعضكم يقول : ومن يضمن لنا أن الاكدية ليست هى المقتبسة ؟ فان كون الاكدية أقدم من هذه اللغات فى الحضارة لا يدل على أنها أقدم منهـا فى الوجود ، كما أن كلمة العطاء ليست من الكلمـــات الحضاريـة الراقية التى لا تعرفها الامم المتخلفة لنقول ان الاكديين هم الذين اخترعوها فنقلها عنهم الآخرون . نعم ، الحق معكم . انه اعتراض معقول ، أنا الذى وجهته الى نفسى فى الحقيقة قبل أن يوجهه الى أحد ، وأنتم شهودى على ذلك . ولكنى مصر مع هذا على أن كلمات العطاء هـذه الموزعة على عدة لغـــات أصلهـــا عـربى قـح ، لانى وجدت النواة الأولى التى انبثقت وأثمـرت و **(أعطت)** ثمارها الى أهل الارض شرقا وغربا ..

اليـــد وبناتها

وجدتها ايها الاخوة والاخوات ، فى العربية . انهـا كلمة صغيرة من حرفين اثنين هما اليـــاء .. والدال . نعم ، انها **(اليد)** ، هذا العضو المهم من جسم الانسان .

لقد أكثر العرب من اشتقاق الافعال والاوصاف من أسماء الاعضاء . فمن **(الوجه)** اشتقوا المواجهة والاتجاه والجهة والتوجيه والوجاهة والجاه .. الى آخر ما هناك ومن **(الظهر)** اشتقوا الظهور والمظهر والظاهر والظهير والتظاهر والتظاهرة والمظاهرة .. الى آخر ما هنالك . فلا عجب اذن أن اشتقوا من **(اليد)** فعـــل **(أيد تأييدا)** بمعنى المساعدة ، والمساعدة أيضا من (الساعد) بمعنى المعاضدة وهذه ايضا من **(العضد)** بمعنى المكـاتفة ، وهذه أيضا من **(الكتف)** بمعنى **المؤازرة ، وهذه أيضا** من **(الازر)** وهو **(الظهر)** الذى تحدثنا عنه توا .

كذلك صاغ العرب من (اليد) فعل **(ودى يدى وديا ودية)** بمعنى أعطى ، **والدية** هى التعويض يدفع عن دم القتيل كما هو معلوم . كذلك صاغوا فعل **(ادى)** بمعنى أعطى باليد . ثم انهم فكوا ادغام الـــدال المشددة فى **(أدى)** بادخال الهاء مرة فقالوا **(أهدى)** ومنها **(الهدية)** ، وبادخال النون مرة فقالوا **(اندى)** بمعنى أعطى وأكثـر العطاء ، ومنها **(الندى)** اى السخاء . و **(أندى)** هـــذه تطورت فصارت **(انطى)** وأنطى صارت (اعطى) .. ثـم **آتى .. ثم أتى .**

فهل من شك بعد هذا .. بعد كـــل هذا .. فى أن أصل الكلمة عربى صميم ؟ اننا نرى شجرة النسب هنا كاملة حتى آدم العطاء : **اليد . أتـى بنت آتى .. بنت أعطى .. بنت أنطى** (I) **بنت أتـدى .. بنت أدى .. بنت اليد .**

(I) هذا نقوله خلافا للقاعدة المشهورة التى تزعم أن (أنطى) لغة متفرعة من (أعطى) نطق بها بعض العرب كسعد وهذيل .. وخلافا لما يقوله بعض المحدثين مصححين لخطا الاقدمين من أن (أعطى) من (أتى) . فالذى نراه أن العكس هو الصحيح في كلتا الحالتين .

والسؤال الآن هو كيف استعجمت هـــاته اللفظات اليعربيات ؟

ان فعل الامر من (ودى) هو (د) كما نعلم . مثل (ق) من (وقى) ، و (ع) من (وعى) . وفعل الامر (د) هذا هو الذى اقتبسه الفرس ، فهو نفسه بنفس اللفظ والمعنى فعل الامر عندهم أيضا . ومنه صاغـــوا الماضى (داد) والمصدر (دادن) .

ومن فعل (أيد) تسرب الى الانكليزية والفرنسية فعل aid و aider بنفس المعـــنى العـــربى ، اى المساعدة .

كذلك تناول اللاتين فعل (أدى) فنطقوه على طريقتهم addo بنفس المعنى . ومن فعل (ندانو) فى الاكدية صاغوا فعل dono بمعنى (أهدى) . وعن اللاتينية أخذت اللغات الإوربية الحديثـــة وزادت فى التـــوليد والاشتقاق .

واذا بهذه الكلمة الصغيرة ـ اليد ـ تفرخ تفريـــخ الدجاجة ، وتوزع هبـــاتها على العالمين ، منذ الـــوف السنين . ومن الطرائف ان كلمة data وهى تعنـــى (العطايا) باللاتينية وكثير من اللغـــات الاوربية ، قـــد ترجمها العرب المحدثون (المعطيات) . وما هى data الاوربية ترجع بنسبها عن طريـــق لاتينية الى (اليد) ، وما هى نظيرتها (المعطيات) الاسيوية ترجع بنسبها عن طريق عربية الى (اليد) ايضا ، وقد قرنهما المترجمـــون على عهدنا هذا . فسبحان من يجمع الشمل بعد شتات ألوف السنين .

والقلـــم وما يسطرون

ومن المناسب هنا أن نلتفت التفاتة سريعة الى (القلم) الذى هو kalamos فى الاغريقية و calamus فى اللاتينية ، لتطمئنوا على مصيره ، قبـــل الخوض فى شؤون أخرى . انى أعلن لكم بصراحة أنه عريق النسب فى العروبة ، وأنه ينتمى الى أسرة عربية ضخمة قـــل مثلها فى اللغات ، وأحسبها تربو على (500) نفس .

ان (القلم) اولا مشتق من فعل (قلم قلما) مثل (قطع قطعا) وزنا ومعنى . ومثلها (جلم جلما) تعنى قطـــع أو حلق . ولها أخوات : (جلى ، جلح ، جله ، جلف) .وفعل (قلم) أيضا له أخوات : قلف ، قلغ ، قلع ..

وحرف اللام فى فعل (قلم) مبدل من الطاء فى (قطم) والصاد فى (قصم) والضاد فى (قضم) .. الى آخر مـــا هنـــالك .

وهذه كلها مع كثير غيرها ترجع الى الام الاولى (قط) وهى الام الحوائية لبيئات الافعال الدالة على القطـــع واشباهه . أما فى اللغتين الاوربيتين فنجد الكلمة فـــى المعجم يتيمة ، لا أهل لها ولا أقارب .

ثانيا ان القلم يعنى **القصب** فى اللغـــات الثـــلاث . وصياغة كلمة تعنى القصب من فعل ماض يعنى القطع ليس بدعا فى اللغة العربية ، فان كلمة (القصب) أيضا صيغت بنفس الطريقة من الفعل الماضى (قصب) الذى يعنى القطع أيضا . فالظاهر أن القوم الذين صاغوا اسم (القلـــم) من الفعل الماضى هم القـــوم الذين صاغـــوا (القصب) بنفس الاسلوب : أى العرب ، وبما قبيـــل بذاته من العرب فى كلتا الحالتين .

وثالثة تحبونها .. هى أن الكلمة kalamos calamus ليس لها فى هاتـــين اللغتين الحضاريتـــين الراقيتين الاوربيتين الا معناها البـــدائى : **القصب .. القصب** فقط . وانما اكتسبت معناها الحضارى الثقافى فصارت تعنى آلة الكتابة فى **العربية** .. فى **العـــربيه** فقط . ذلك ان العرب لما بدأوا يستعملون اليراع ـ أى القصب ايضا ـ للكتابة اختاروا احدى المترادفات (**القلم**) للدلالة على هذا القصيب الذى به يسطرون .

ارجعوا الى معاجم اللغات الثلاث لتتأكدوا . ارجعـــوا الى المعجم العربى وحده على الاقل لتروا ان (**القلم**) يعنى القصب الذى برى رأسه اعدادا للكتابة . فاما قبل بريه فاسمه القصب .

من ثمـــار الحفريات

هذا قليل جدا من كثير جدا من مكاسبنا فى الحفريات المعجمية . واليكم نماذج قليلة أخرى عن اللغات الاوربية الثلاث : الاغريقية واللاتينية والانكليزية :

هاكم من الاغريقية أولا :

sema اى العلامة ، وأصلها العربى : **السمة والسيماء والسومة** ايضا .

muthos واصلها العربى **المثلة والمثلة** ، ومعناها فـــى كلتا اللغتين الاغريقية والعربية هو : ما يروى للعبـــرة

من أخبار الاولين أو أساطيرهم . ومنها mythology في اللغات الاوربية ، أى (علم الاساطير) . ويمكننا فيما أظن أن نسميه فى العربية **(علم المثلات)** .. اذا سمح لنا المكتب الدائم للتعريب . وأود هنا أن أبشركم سلفا بأن logy هذه فى mythology هى ايضا عربية مثلكم ، وسنعود اليها حين يأتى دورها .

historia اى الخرافة . وأصلها العربى : **اسطورة** ، وهى فى العربية من **العطر** أى الكتابة . ومنها فى الانكليزية history بمعنى التاريخ ، وفى الفرنسية histoire بمعنى التاريخ أو الحكاية .

aster و astron أى النجم . والصيغة الاولى aster من اسم **(عشتار)** الالهة البابلية التى تعنى كوكب الزهرة ، والصيغة الثانية astron يظهر انها من اسم **(عشتاروت)** كما ينطقها الفنيقيون وهى تعنى النجم بوجه عام لدى الاغريق . وهى كذلك فى اللاتينية ، وتنطق astrum . ومنها صيغ اسم علم الفلك : astrologia بالاغريقية واللاتينية و astronomie, astronomy بالانكليزية والفرنسية. ولو أننا صغنا اسم علم الفلك فى العربية على هذه الطريقة من اسم (عشتار) لقلنا ان astronomy هو **(العشترة)** ! (I)

techné أى الفن . ومنه technology فى اللغات الاوربية الحديثة . وأصلها العربى (**التقن**) بمعنى الملكة والجبلة . ومنه قالت العرب «ان الفصاحة من **تقنه**» أى من طبعه .

نكتفى بهذه الخمس الكلمات من الاغريقية ، واليكم خمسا أخرى من اللاتينية .

solidus وعربيتها : **الصلب** والصلد والصلود .

capesso وعربيتها : **قبض** .
tabum وعربيتها : **طاعون** .
genius وعربيتها : **جنى**
materia وعربيتها : **مادة** .

وهذه خمس أخرى من الانكليزية :

that من : **ذاك**
cut من : **قط** ، أى قطع .
earth من : **أرض**
tall من : **الطول** بمعنى طويل .
wine (نبيذ) من : **وين** (العنب الاسود) .

الاصل اللغوى المشترك

وانى لفى نشوتى أتخبط بين المعاجم ، فرحا بما اكتشف من نفائس التحف اللغوية التى تعزز هذه الفكرة عندى وتزيدها رسوخا فى ذهنى ـ أعنى فكرة **فضل العربية على اللغات الاوربية** ـ واذا بعقبة كالجبل تنتصب امامى ذات يوم لتقلب الاوضاع وتذهب بكل جهودى أدراج الرياح الاربع . وذلك انى وجدت فى احدى مطالعاتى ان بعض المستشرقين قد لحظوا الشبه ، لا بين العربية واللغات الاوربية وحسب ، بل بين الساميات والآريات كافة ومنها أمهن السنسكريتية ـ أى الهندية ـ القديمة ، بل ان منهم من طابقوا جميع الكلمات الاصلية فى اللغات السامية مع نظيراتها فى اللغات الآرية فوجدوا ان جذورها الثنائية مشتركة بين الطائفتين ، أما الكلمات التى لم يجدوا لها جذرا ثنائيا مشتركا فقد أوجدوا لها جذرا ملائما افترضوا انه كان موجودا فى غابر الزمان ثم اندثر .

والمقصود **بالجذور الثنائية** للكلمة هو أن الكثيرين من علماء اللغة يعتقدون أن أصل الكلمات كان أول الامر يتألف من حرفين تقليدا لاحد الاصوات الطبيعية ثم زيدت فى كل لغة حروف أخرى بمرور الزمن .

وقد اختلفت آراء المستشرقين فى تعليل هذه الظاهرة اللغوية ، أى ظاهرة التشابه بين أصول الالفاظ السامية والآرية ، فبعضهم استنتج أن الآريين والساميين كانوا يتكلمون لغة واحدة بادت منذ زمن سحيق بعد ان انشعبت شعبتين . وبعضهم قال ان الاصل البشرى الذى انحدر منه الساميون والآريون كان يتكلم لغة بدائية قديمة فلما انسلخت هاتان الطائفتان سلكت كل واحدة منهما طريقها فى تطوير لغتها ، وبقيت آثارة من اللغة القديمة الام تظهر فى هذه الجذور الثنائية . ولكن

(I) اسم عشتار ما زالت منه بقية في لغة نيبال ، فقد اندرس منه النصف الاول وبقي اسم آلهة الحب والجمال عندهم (تارا) .

أكثر علماء اللغة ينكرون المسألة من أساسها ويرفضون فكرة انتماء هاتين المجموعتين من اللغات الى أصل واحد بحجة أن النظرية غير علمية لانها افتراضية ولان أدلتها غير قاطعة ، ومن ثم كان الاخذ بها ضربا من العبث .

والآن ما موقفنا نحن ، اخواني أخواتي ، من هـذه المعضلة الجديدة ؟ هل نصدق هذه النظرية فنقول ان الشبه بين العربية والآريات يرجع الى الاساس اللغوى الاول الذى لا نعرف عنه شيئا فلا يبقى فضل للعربية على غيرها وتغدو كل مساعينا فى الحفر والتنقيب هباء منثورا ؟ أم هل ننضم الى خصوم النظرية من علمـاء اللغة ونهمل هـذه الظـاهرة الصريحة التى لا يمكن انكارها مهما تغاضى بعضهم عنها وعن النتائج المترتبة عليهـا .؟

لا هذا ولا ذاك .. فنظريتنا القائلة بفضل العربيـة على الاوربيات صحيحة ، ونظريتهم القائلـة برجـوع الطائفتين الى أصل واحد صحيحة ايضا . فكيف كـان ذلـك .؟

اليكم البيـان :

اذا أمعنا النظر فى الالفاظ المشتركة نجدها تتألـف من صنفين متمايزين ، أولهما الكلمات البدائية كأسماء الحيوان وأعضاء البدن وما الى ذلك . وثانيهما الالفاظ الحضارية الراقية .

فلنعاود الآن ذكر هذه الالفاظ الحضارية التى مررنا بها منذ قليل :

historia أى **الاسطـورة** ، muthos أى **المثلة** ، techné أى **التقن** ، و astrologia أى **علم الفلك** ، وهذه الالفاظ موجودة فى الاغـريقية واللاتينية معا . ولنضف اليهـا alphabetha أى **الالفباء** التى نعلم جميعا أن الاغريق اقتبسوها من العرب الفنيقيين . فهذه تعـابير حضارية راقية لا يمكـن اعتبارها من الالفاظ البدائية ، لا مـن حيث القيمـة اللغوية ولا من حيث الرقى المعنوى .

وعلى هذا لا يمكن أن تكون هذه الالفـاظ الحضارية المشتركة بقية أثرية من لغة قديمة عفى عليها الزمان . ولا أجد حلا للمشكلة الا أن نعترف بفضل العربية على هاتين اللغتين وفضل العرب على هاتين الامتين المتحضرتين فى أوربا فى العصور القديمة . والدليل كما قلنا هـو **اولا** قدم الحضارات العربية مـن أكديـة وآشورية وحميرية وفنيقية وأرمية .. **وثـانيا** ان أصول هـذه الالفاظ موجودة كلها مع تفرعاتها فى العربية ، بينمـا هى فى هاتين اللغتين الاوربيتين فروع بلا أصول .. مما لا يدع لنا مجالا للريب فى حقيقة نسبها . ولولا ضيق المجال لاتيناكم من الامثلة الكثيرة بما يكفى لاقناعكم .. واملالكـم .

اللغـة الام

بعد أن اطمأن بالنا على هذه الناحية أى فضل العربية فى العهود الحضارية نعود الى التساؤل عن هذا الشبه الآخر بين جذور الالفاظ البدائية فى العربية والآريات ومنها السنسكريتية ـ الهندية ـ هذه الظاهرة اللغـوية العجيبة ما معناها ؟ وكيف نفسرها ؟

سائلت نفسى : هل التقت العربية بالهندية ؟ فى أى مكـان ؟

هل العرب أصلهم هنود ؟ هل الهنود أصلهم عرب ؟ هل هاجر أحد الطرفين الى بـلاد الآخـر فى **الماضى** السحيق ؟ فى أى زمان ؟ هذا هو السؤال الآن ، فى أى زمان .. لا فى أى مكان فقط .

أجل ، لا بد هناك من **هجرة** .. فى **زمـان** .. مـن **مكان** الى مكان . ثلاثة ألفاظ : **هجرة ، زمان ، مكان .**

أيها الاخوان والاخوات ، لقد انحلت المشكلة . مكان المسرحية أو المأساة هو **الجزيرة العربية** . وزمانها قبل نحو **احد عشر الف سنة** . وخاتمتها **هجرة** ، نعم هجرة مروعـة .

وجدت المفتاح فى حقيقة تاريخية معروفة ، كثيرا ما مررنا بها وتحدثنا فى شـأنها دون أن يخطر لنا أن نتساءل عن نتائجها اللغوية العظيمة .

من المعلوم أن الجزيرة العربية كـانت فى الماضى البعيد غابة لفاء كغابات الهنـد وأواسط افـريقيا ، تخترقها انهار عديدة كبيرة وصغيرة ، وتغاديها أمطار غزيرة ، فكانت كثيرة السكان وافرة الاثمار والحيوان . وكان هذا فى زمان كان الثلج فيه يغطى شمالى اوربـا فلا يترك فيها فرجة لمعيشة ذى روح مـن انسان أو حيوان . فلما ذاب ذلك الدثار الزمهريرى من الثلـج عن اوربا فاسفرت ارضها لترى وجه الشمس كـانت

هذه النعمة الاوربية والانسانية الكبرى كارثة على الجزيرة العربية ، لان ذلك سبب تغير اتجاهات الرياح فاذا بالسحب المطارة التى كانت تغدق بركاتها على العرب تتحول الى اوربا ، واذا بتلك الجنة الفيحاء تصوح تحت أشعة الشمس التى أصبحت نارا تلظى على الجزيرة العربية وبردا وسلاما على أوربا .. واذا بالغابة تصبح الصحراء القاحلة المحترقة التى تعرفون .

فما ذا كانت النتيجة ؟ ما ذا يفعل الملايين من أبناء الجزيرة العربية الذين اعتادوا العيش الرخى الهنىء فى تلك الجنة المصوحة ؟ النتيجة الطبيعية انهم صاروا ينزحون عنها بسرعة تتناسب مع سرعة انتشار الجفاف والقحط فيها . فلا بد ان منهم من هاجر شمالا الى الشام والعراق ، وان منهم من هاجر مشرقا الى ايران وما وراءها ، ومنهم من هاجر مغربا الى مصر وما وراءها ، ومنهم من عبر البحر المتوسط والبر الاناضولى الى أوربا .

ويظهر أن بعضهم هاجر الى الهند . ولا نعلم الاحوال الارضانية (أعنى الجيولوجية) فى تلك الايام ، فلعلها كانت أكثر مساعدة على السفر الى الهند مما هى عليه اليوم . ومهما يكن فان عبور الخليج العربى لم يكن بالامر العسير ، ولا سيما من أضيق نقاطه عند مضيق هرمز .

ولئن كان الاوربيون قد ساروا فى الاصل من الهند حتى بلغوا السويد والنرويج وايسلندة فان هجرة العرب الى الهند ملاحة عبر الخليج العربى او مسيرة عبر بلاد فارس أمر يغدو طبيعيا هينا لا غرابة فيه . ومهما يكن فان اللغة الفارسية فرع من السنسكريتية ، فاذا استطاعت السنسكريتية أن تاتى من الهند الى ايران ففى استطاعة العربية ايضا أن تقطع نفس المسافة من ايران الى الهند . هذا الى أن وطن السنسكريتية الاول غير معروف بالضبط هل هو الهند أم غيرها . وأرجح ، بناء على مقتضيات نظريتنا فى الهجرة العربية ، أن موطن الآرية الاولى بصبغتها العربية الاولى قد كان فى موضع من المنطقة التى تجمع بين ايران وافغان وباكستان . ومن هناك توزعت فيما بعد . وايران هى المحطة الاولى على كل حال .

ولا بد أن العرب كانوا يومئذ ، كما كانوا أبدا ، على جانب عظيم من الحيوية .. العدد القليل منهم يملأ المكان الفسيح ويغمره ، كالذى رأينا فى شمالى افريقيا مثلا على العهد الاسلامى . وكان للغتهم من الحيوية ما كان لاصحابها . ويبدو انهم استقروا وتوطد لهم العيش فى شبه القارة الهندية ، او قريبا منها ، بحيث أن لغتهم التى يظهر أنها كانت على الاغلب فى مرحلتها الثنائية عهدئذ طغت على اللغة او اللغات المحلية التى لعلها كانت ضعيفة جدا بدائية جدا . بل لعلهم نزلوا أرضا خالية نموا وترعرعوا فيها فكانوا أمة وحدهم أول الامر لهم لغتهم وحدها .. ثم كثروا وانتشروا .

وهذا ، اخوانى اخواتى ، هو التفسير الوحيد الذى تراءى لى فى ظلمات التاريخ لهذه الظاهرة اللغوية ، ظاهرة تشابه الالفاظ السنسكريتية فى جذورها الثنائية مع الالفاظ العربية .

كون الجزيرة العربية جنة غناء قبل أحد عشر الف سنة حقيقة تاريخية لا ينكرها أحد من العلماء . وتحولها الى صحراء مجدبة قاحلة حقيقة تاريخية جغرافية لايمارى فيها أحد من العلماء ولا الجهلاء . وأما أن الجدب يسبب الهجرة وخاصة فى الجزيرة العربية فحقيقة تاريخية جغرافية اجتماعية اقتصادية ثالثة تكررت مرارا ، لا على اثر انكسار سد مأرب وحسب ولكن فى مناسبات كثيرة أخرى . كلما أناخ على الجزيرة العربية بلاء من قحط أو حرب ، أى كلما عصرتها الظروف خرجت منها موجة مهاجرة كما يخرج معجون الاسنان من الانبوبة عندما تعصرها بأصبعيك .

ان المسألة ، ايها الاخوة والاخوات ، **ليست جوازية ، بل وجوبية** . أعنى لا بد ان الهجرة من الجزيرة العربية قد وقعت ، ولا بد أن وقوعها ترك آثاره اللغوية المبينة . وهذا نفسه هو تفسير الشبه بين اللغة العربية واللغات البربرية فى شمال افريقيا مثلا .

الجنود الصوتية

ولكنى مع هذا ، أجل مع كل هذا ، لا أكتم عنكم أنى اعترضت على نفسى فى هذا الاستنتاج الخطير ، وقلت لنفسى : افترض ياصاح ، أن هجرة الاعارب الى الهند او غيرها من الاصقاع وزرع لغتهم فيها لا يعدو أن يكون وجها من وجوه الاحتمال ، ان لم يكن لدينا برهان يفنده فليس لدينا برهان يؤيده . والبحث

العلمي لا يبيح لنا بنـــاء الحقائق وخاصة مثل هـــذه الحقيقة الضخمة ، على الاحتمالات والافتراضات ، محاباة لفكرة قبلية غازية أو بعدية واهية ، ولا اندفـــاعا وراء عاطفة وطنية او عصبية قومية . وانما قصارنا فى مثل هذه الحال أن نقول ان الامر يحتمل أن يكـــون كذلك ونترك تمحيصه للزمن وللناس . فلنفترض كذلك اذن أنه يحتمل أن يكون العرب هم الذين اقتبسوا لغتهم من الآريـــة الاولى فى ظروف تاريخية غامضة لا علـم لنـــا بهـــا .

ولكن ما العمل وقد انتصب أمـــامى دليلان كبيران يؤيدان فضل العربية بالرغم من اعتراضاتى ؟

أما الدليل الاول فهو أننا فى **العربية** وحدها نجـــد الأصول التى نشأت منها الكلمات المشتركة بين العربية والآريات على نحو ما رأينا فى الالفاظ الدالة على العطاء وكيفية انبثاقها من **(اليد)** . بل أكثر من هذا أننا نجد فى العربية النبرة الصوتية التى نبتت منها الكلمة منذ يوم ولادتها . اليكم مثلا فعل **(فر)** الذى يحكـى صوت أجنحة العصفور عند فراره . وما زالـــوا فى العراق يقولون فى وصف فرار الهارب : عمـل **فررررررر** .. وطار مثل العصفور . ومن هذه الكلمة يقول الانكليز : **(فـــلاى** fly) بمعنى يطير ، و **(فلايت** flight) بمعنى الفرار . ولا يمكننا أن نتبين الاصل الصوتى فى هاتين الكلمتين الانكليزيتـــين المحرفتين دون استدلال بالاصل العربى **(فـــر)** .. الذى يحكى الصوت الطبيعى ويصوره تصويرا دقيقا ، ومن ثم لا يمكن أن تكـــون الكلمة الانكليزية flight هى أصل الكلمة العربية **(فـــر)** .

الاصـــوات العربية

وأما الدليل الثانى فهو الاصوات العربية التى لاوجود لها فى اللغات الأعجمية ولا سيمـــا الاصوات الحلقية منها . فاذا وجدنا ألفاظا مشتركة منشؤها من هـــذه الاصوات الحلقية الطبيعية ورأينا الأعـاجم قد اضطروا الى استبدالها بأصوات يقدرون عليها أفلا يدل ذلك على أصلها العـربى ؟

كثيرا ما سمعنا الاجانب ينتقدون اللغـــة العـربية لوجود أصوات **العين والغين والحاء والخاء والصاد والضاد** وغيرها فيها ، مما يجعلها فى زعمهم غليظة خشنة يصعب النطق بها . وفاتهم أن هذه الحروف طبيعية ، أجل ان الطفل فى كل بلاد العالم ينطق بها عفوا ، ولكنه حينما يكبر لا يجد هذه الاصوات فى لغة أهله فيهملها الى أن تتعطل بالتدريج أعضاء النطق المكلفة بأدائها ، كمـــا تتعطل اليد أو الرجل أو أى عضو يهمـــل استعماله منـــذ الصغـــر .

فلنضرب بعض الامثلة على كيفية نشوء الكلمات من الاصوات العربية **الصعبة** على غير العرب . لنأخذ صوت **(الحاء)** ، فهو أحد هذه الاصوات الحلقيـــة الطبيعية ، ينبعث تلقائيا عند التنحنح فيقول الصغير **(أح)** لمجرد تنقية حنجرته دون أن يريد مخاطبة أحد أو التعبير عن شىء . فمن هذا الصوت صاغ العرب فعل **(أح)** بمعنى سعل ، ثم أصبحت بمرور الزمن **(قح)** و **(كح)** وهمـــا صيغتان مندثرتان فى العربية الفصحى فيمـــا يظهر ، ولكنهما ما زالتـــا مستعملتين فى بعض بـــلاد الشرق الاوسط . ومن **(قح)** صاغ العرب الاقدمون فعل **(قحف)** و**(قحب)** ومازال المغاربة يقولون **(الكحبة)** بمعنى السعال ولكننا لا نشك ان الجذر الثنـــائى الاصيل هو فعـــل **(أح)** لانه هو الذى يصور الصـــوت الطبيعى للسعال . وفعل (قحف) يطالعنا فى الانكليزية بصيغـــة **(كـــف)** cough بنفس المعنى . ويقـــول المعجم الانكليزى ان هذه الصيغة منحدرة من الانكليزية الوسطى التى ورد فيها بصيغة coghen وهـــذا منتهى علمهم . فهـــل نستطيع أن يستطيعون ، أن نقول أو يقولـــوا ، ان cough أو coghen هما الاصل الـــذى أخذ عنه العرب فعل **(قحب)** و **(قحف)** ثم جعلوه **(قح)** ، ثم أعادوه الى الاصل الطبيعى **(أح)** ؟ ان البذرة يمكن أن تنمو فتصبح شجرة لها فروع ، ولكن الفروع لا يمكـــن أن تعود الى شجيرة ثم بذرة .

الطفـــل العـــربى

واعرض لكم الآن نموذجا رائعا من ثمـــار الحفريات اللغوية ، اسمحوا لى هذه المرة أن أعده دليلا قاطعا . وهو فوق ذلك يعود بنا الى أقـــدم منابع اللغة وربمـــا أجملها أيضا . وسنرى فى هذا النموذج كيـــف تنبت البذرة وتنمو وتورق وتزهـــر تحت سمعنا وبصرنا . وبعبارة أخرى سنرى بأم عيننا كيف انبثقت اللـــغة ونمـــت .

لقد حان الآن ان ننجز لكم ما وعدناكم به من الحديث عن فضل **الطفل العربى** ـ الرضيع العربى ـ على لغات بنى آدم ..

ها هو طفلنا الوليد قد استوفى نصيبه من الرضاع بعد نومة هنيئة ، فشاع فى نفسه الجديدة شعور غامر بالسعادة ، فاذا به يرفع عقيرته بالغناء ، كما يفعل الكبار من العرب غالبا فى أمثال هذه المناسبات ، ويصيح دون سابق انذار : **غغغغغ** ... وكثيرا ما يستخفه الطرب وتطغى عليه النشوة فيرتقى طبقة أخرى فى الغناء ويصيح معلنا رضاه عن الدنيا وعن سير الامور فيها بقوله متحمسا : **لغ لغ لغ لغ لغ لغ لغ لغ** ... وأظننا كلنا قد لحظنا مرارا هذه الاغرودة وطربنا لها . وهذا الصوت الحلقى أعنى حرف الغين هنا ، ليس خاصا بالطفل العربى ، بل هو عالمى يترنم به عفويا وفطريا أطفال جميع الشعوب كالذى قلنا أكثر من مرة . وبكلمة أخرى ان الطفل يولد على الفطرة ، عربيا فى نطقه .. وأبواه يفرنسانه او يؤغرقانه أو يهندانه ..

فلننظر أيها الاخوة والاخوات .. الاصح هنا تقديم ذكر الاخوات على الاخوة لان الموضوع موضوع أطفال هن أولى به . نعم ايتها الاخوات والاخوة ، ما معنى هذه الظاهرة الانسانية وما قيمتها أو قيمها ؟ انها قبل كل شىء **(كلام)** بالنسبة الى قائلها ـ الطفل ـ لانها **(تعبير)** عن شعوره بالوجود وفرحته بالحياة التى أخذ يستطيبها . وهى ثانيا **(لغو)** بالنسبة الينا لا تعبر عن معان محددة كألفاظنا القاموسية التى اعتدنا التعبير بها . وهى مع هذا وذاك **(غناء)** .. أول غناء يبدأ به الانسان من تلقاء نفسه بدون تعليم . وهى رابعا **(دعوة)** من هذا الصغير للكبار من الآدميين تبتعث اواصر **(التعاطف)** الانسانى والشعور بالرحمة فى نفوسهم ولا سيما نفوس الامهات .

ثم فلننتظر هل ادرك العرب الاقدمون فى تلك العصور الحجرية والعهود الغابرة السحيقة .. هل أدركوا هذه المعانى فى **لغلغة الطفل** هذه ؟ العجيب أيتها الاخوات والاخوة انهم أدركوها كلها ادراكا عميقا، وعرفوا قيمتها حق العرفان ، وتركوا لنا ذلك واضحا فى لغتهم ـ لغتنا .

أما تقديرا للقيمة **(العبثية)** فى هذه اللغلغة فقد صاغوا منها أول الامر فعل **(لغا لغوا)** أى قال الصغير (لغلغلغلغ) . ثم عمت الكلمة فاستعملت للكبار والصغار جميعا بمعنى الهذر والتخليط فى الكلام . وليعذرنا انصار **(العبثية)** فى الفن الحديث ، فان العرب عدوا ما لا يفهم وما لا معنى له **(لغوا)** .

على أن تسمية لغلغة الوليد (عبثا ولغوا) أمر عادى لا براعة خاصة فيه . وأما الذى يستحق التسجيل لما فيه من دلالة على عمق الاحساس وسلامة الفهم فهو أن العرب منذ عهدهم البدائى البعيد ادركوا نفسانيا وعقلانيا ما فى هذه اللغلغة من قيمة كلامية ، فاعتبروها تعبيرا وخطابا من هذا الكائن الجاهل الابكم المهذار ، اذ قالوا **(لغا لغوا)** بمعنى تكلم ، أيضا . ولعلكم تستغربون ذلك . فمن انكر هذا فما عليه الا أن يراجع أقرب معجم عربى من محل الحادثة ، ليرى أن **(اللغو)** يعنى الكلام كما يعنى الهذر والتخليط . ولكن الرغبة فى تجنب اللبس أدت الى اهمال أحد المعنيين . وجدير بالتأمل ايضا أنهم من هذا (اللغو) بمعناه الخطابى التعبيرى صاغوا لفظة **(اللغة)** .

ثم تحور فعل (لغا لغوا) فأصبح **(نغى نغوا ، ونغى نغيا ، وانغى انغاء)** ـ بالنون ـ بمعنى الكلام أيضا .

ثم ان هذه اللغلغة من رضيعنا الطروب هى ينبوع الغناء الانسانى . وما غفل العرب عن معناها الموسيقى هذا بل قدروه كذلك وقيموه ، ومن ذلك استعملوا **(النغو والنغى والانغاء)** بمعنى الغناء أيضا اول الامر وقد بقى فى المعاجم دليلا على ذلك انهم صاغوا **(النغية والنغوة)** بمعنى **(النغمة)** الحسنة . ثم تطور فعل **(أنغى انغاء)** فصار **(غنى غناء)** .

ونأتى الى ما فى هذه اللغلغة الثمينة من قيمة انسانية عاطفية لايصيد امامها حتى القاسى من القلوب. فمن الذى يلوم قلب الام اذا هو خفق نشوة وذاب رقة عند سماعها ؟ ان الام ما تكاد تسمع هذا الصوت الساحر حتى تقبل على وليدها بكل جوارحها فتجلس اليه وقد هبطت الى مستواه اللغوى ، بل العقلى أيضا . فاذا هو قال لها ضاحكا : **لغلغلغلغ** ... شعرت أن الدنيا لم تعد تسعها من فرط السعادة . فتجيبه على البديهة : لغلغلغلغ ...

ويظلان على ذلك ، مشتبكين فى حوار (عبثى) ليس له معنى قاموسى ، وفيه كل معانى التخاطب والتعاطف بين أعز انسانين . وتراهما مستغرقين فى الضحك

كانهما يتبادلان النكات والملح فى حوار يتجاذبانه من وضع موليير . فهذا **اللغو** ، أعنى تبادل **اللغلغة** و **النغنغة** هو أصل **(المناغاة)** بين الام وحشاشتها ، ايتها **الاخوات**. ينغى الطفل **فتناغيه أمه** ، أى **تنغى** معه . ومن تطور **(المناغاة)** بين الام ووليدها صيغت كلمة **(المناجاة)** بين الحبيبة وحبيبها .

أفبعد أن رأينا كيف نشأت هذه الالفاظ التى ذكرنا والكثير غيرها مما لم نذكر لضيق المجال .. أفبعد هذا نستطيع أن نخطىء فى معرفة اصلها اذا نحن وجدناها فى لغة أو لغات أجنبية ؟ هل يحق لى بعد كل هذا أن أعترض على نفسى مرة أخرى لافند نظريتى ؟

فلنرحل الآن الى اوربا نبحث فى لغاتها عن عطايا الطفولة العربية . ها هى كلمة **(لغو)** العربية بمعناها الكلامى قد صارت فى الاغريقية logos بمعنى (الكلمة) . وها هى كلمة **(لغة)** قد صاغ اللاتين منها كلمة lingua بمعنى اللسان واللغة ايضا . وهى ما زالت كذلك فى الايطالية معنى ومبنى . ومنها صيغت langue الفرنسية بمعنى اللسان واللغة ، و langage الفرنسية و language الانكليزية بمعنى اللغة . وقد صاغ اللاتين من **(غنى)** فعل cano بنفس المعنى ، ومصدره عندهم canere و cantare

وما زال هذا المصدر بنفس المعنى والمبنى فى اللغة الايطالية . ومنه صاغ الفرنسيون فعل chanter وعنهم أخذ الانكليز فعل chant بنفس المعنى .

وثمة ما هو أهم من هذا . فلنعد الى logos الاغريقية ، فقد صاغوا منها **(لوغيكا)** : logica فى الاغريقية واللاتينية معا بمعنى **(المنطق)** ، وهو **(لوجيك)** : logique logic فى الفرنسية والانكليزية . ومن كلمة **(اللغة)** صاغوا **(لوغيا)** logia فى الاغريقية واللاتينية أيضا بمعنى (الكلام والمكالمة) والحقوها ببعض الاسماء للدلالة على العلم ، وهى تنطق فى اللغات الحديثة **(لوجى)** فى مثل biologie و psychologie و geologie و technologie وكلمة **(لوجى)** : logie logy هذه شائعة الآن فى اللغات الاوربية وغير الاوربية . بل اننا نحن العرب نستعملها أحيانا ، **مضطرين** فى بعض الكلمات التى لا نجد لها مقابلا عربيا ، ونحن لا ندرى انها عربية فى العربية . ولو درينا لتسامحنا معها ، بل لاحتضناها وقبلناها فى غرة جبينها بعد اذ اجتمع شملنا بها اليوم . ولئن كانت بعض الكلمات **(الملوغة)** ـ أى الملوجة ، المنتهية بكلمة logy هجينة نصفها عربى ونصفها أعجمى مثل psychologie فان technologie عربية خالصة النسبة ، لان نصفها الاول **(التقن)** عربى كالذى قلنا آنفا ونصفها الثانى (لوجى logy عربى كالذى رأينا توا . ولو ترجمنا الكلمة عن الاغريقية ترجمة دقيقة لقلنا **(كلام التقن)** . وما أحسن التقن اذا تكلم .. كلاما **(لوغويا)** .. اى منطقيا .

الفروج العربى

والآن جاء دور الفروج العربى ، الذى وعدناكم بالتحدث عن عبقريته . هو أيضا سيد الفراريج ، أعنى من الوجهة اللغوية . انه ككل فراريج الامم يكون حين يغادر بيضته من أجمل فراخ الطيور وأقربها الى النفس. وطالما أطربتنا انشودته الجميلة : **صى صى صى صى ...**

فمن نبرة **(صى)** هذه قال العرب **(صاى الفرخ)** بمعنى : صوت . وتطورت كلمة **(صاى)** مع الزمن فصارت **(صاء)** ، ثم تطورت مرة أخرى فصارت **(صات)**، ثم **(صاح)** ، ثم **(صحل)** ، ثم **(صهل)** .. الى آخر ما هنالك .

وعندما نتتبع ماثر فروجنا الغالى فى اوربا نجد فعل (صوت) قد غدا فى اللاتينية sonitum باضافة النون ، و sono بحذف التاء وما بعدها ، بنفس المعنى العربى . وقد تبين لى فى كثير من الحالات أن اقحام النون بغير داع فى وسط الكلمات المقتبسة من العربية هو عادة نطقية عند بعض الاوربيين . ومن sono هذه اشتقت كلمة (سوناتا sonata بالمعنى الموسيقى المشهور فى اللغات الاوربية وغير الاوربية . وكثيرا ما نستعملها نحن أيضا ، **على كره** ، لاننا لا نعرف صلة القربى بيننا وبينها ولا نجد فى لغتنا كلمة تناظرها .

ونجد منها فى الفرنسية sonde و sondage و sonder و sonner وغير ذلك . أما فى الانكليزية فنجد كلمة (الصوت) الفروجية العربية تنطق (ساوند sound) بنفس المعنى . وهنا ايضا

أقحموا النون في الوسط . ولكن توجد في الانكليزية كلمة أخرى بغير نون وهي **(شاوت)** shout بمعنى (الصوت) العالي ، أي الصياح . كذلك نجد في الانكليزية كلمة squeal بمعنى **(الصهيل)** .

وقد طال بنا الحديث فلا اريد التوسع في مناقب فروجنا أكثر من هذا . وهو في الحقيقة لا فضل له على غيره من فراريج الله سوى أنه عربي ، أعني ان العرب الذين كان له شرف النشوء بين ظهرانيهم هم الذين لحنوا معزوفته الساذجة العذبة **(صي صي صي صي)** .. ووهبوها الطاقة التعبيرية والغنى اللغوي . فالفروج العربي كسائر الفراريج يولد على الفطرة أيضا ، أبكم في تصائيه ، وأصحابه يعربونه فيبدعون من نغمته البسيطة ذات النبرة الواحدة أنواعا مختلفة من الاصوات، من **صياح** الانسان .. الى **صهيل** الحصان .. الى **سوناتات** فيردي وباخ وشوبان .

تصحيح تسمية

من كل ما تقدم يتضح ان **اللغة العربية لغة عربية** . ولا يمكن أن تكون الا لغة عربية . لا تقولوا لي هذا شأن جميع اللغات ، فهل اللغة الفرنسية مثلا ليست فرنسية ، وهل الانكليزية ليست انكليزية ؟ نعم ان اللغة الفرنسية ليست فرنسية واللغة الانكليزية ليست انكليزية بل كلتاهما كغيرهما من معظم اللغات ان لم نقل كلها ، خليط من لغات أجنبية ومحلية . وهي غير أصيلة . أما اللغة العربية فلغة عربية . العرب هم الذين صنعوها ، في جزيرتهم العربية نفسها ، وهي الارض المصدرة للعرب والعربية منذ مئة وعشرة قرون على الاقل . ولا يمكن لهذه اللغة أن تكون مستوردة من مكان آخر ، لاننا نراها هنا تصنع من مادتها الطبيعية الفعل الاولى ، تحت سمعنا وبصرنا ، بافواه كبارهم وصغارهم .. من أصواتهم في مختلف حالاتهم ، من **قهقهة وغناء وتمطق وسعال، وبمناقير فراريجهم، وفحيح أفاعيهم ، وزقزقة عصافيرهم ، وقعقعة رعودهم . هم** وحدهم الذين ينطقون بكل هذه الاصوات ، حلقية وغير حلقية . وكل أعجمي اقتبس كلمة من لغتهم اضطر الى تغيير هذه الاصوات ان وجدت فيها . هذه الاصوات نستطيع فيما أظن أن نطلق عليها علميا اسم **(الاصوات العربية)** . وان كانت بعض الشعوب تستطيع أن تنطق ببعضها ولا سيما من الشعوب المجاورة للعرب فلا توجد أية أمة على وجه الارض غير العرب تستطيع النطق بها كلها .

واذا كان علماء الاجناس قد قرروا ان الاوربيين كانوا نزحوا في الاصل من آسيا أو من الهند بالذات مستدلين على ذلك بالتشابه بين اللغات السنسكريتية واللغات الاوربية ، حتى لقد سموها باللغات **(الهندية/ الاوربية)** ، فليس بوسعهم الآن الا أن يأذنوا لنا ان نستعمل نفس المعيار ونستنتج نفس الاستنتاج فنقول ان الشبه بين العربية والسنسكريتية يمكن أن يكون تفسيره كذلك هجرة العرب على اثر جفاف جزيرتهم الى الهند وغيرها ـ حيث استقروا واستقرت لغتهم .

وعلى هذا يحق لنا بنفس الاسلوب أن نسمي السنسكريتية باللغة **(العربية / الهندية)** . وأما اللغات الاوربية التي سموها **(الهندية / الاوربية)** فلعله قد آن أوان تعديل تسميتها لتطابق واقع التاريخ فيكون اسمها الصحيح منذ اليوم هو اللغات **(العربية / الهندية / الاوربية)** .

وادرك شهرزاد الصباح .. فسكتت عن الكلام المباح

عبد الحق فاضل